الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف–
كلية الآداب واللغات
قســـــم: اللغة العربية وآدابها

العنـــــوان:

السياق وأثره في التفسير الكبير للرازي (نماذج مختارة)

مذكرة معدة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر في اللغة العربية

الميدان: لغة وأدب عربي **التخصص:** لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبة:
زرفة خديجة

إشـــراف الأستاذ:
الدكتور سوداني عبد الحق

الاسم واللقب	المرتبة	الصفة
د/ نبيل زياني	أستاذ محاضر - أ-	رئيسا
د/ سوداني عبد الحق	أستاذ محاضر- ب-	مشرفا ومقررا
د/ زكاريا مخلوفي	أستاذ محاضر - ب-	فاحصا

تاريخ المناقشة :2017

السنة الجامعية :2016/ 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دعـــــــــاء

" اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت،

ولا باليأس إذا أخفقت اللهم إذا أعطيتني نجاحا،

فلا تأخذ تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ

اعتزازي بكرامتي ".

*** شكر وعرفان ***

الشكر والتقدير لكل أساتذتي الذين درسوني وللأستاذ المشرف الدكتور سوداني عبد الحق كل التقدير والاحترام لما بذله من جهد في سبيل تقويم هذه المذكرة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وللأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الشكر المسبق على ملاحظاتهم القيمة التي أنا عاملة بها بإذن الله.

إهـــــداء

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أثني عليه بأكمل ثناء، وأمجده بأجل تمجيد.

أهدي هذا العمل:

إلى روحي جدتي وأخي هشام الطاهرتين أسكنهما الله فسيح جنانه.

إلى الوالدين الكريمين نصيرة والتونسي أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي وأخواتي أمال وكمال وسهام وأمينة وأحمد

إلى البراعم الصغار:عبد المالك والمعتصم بالله ونور الإسلام،

وجود الرحمان وإسحاق وجنى وتنسيم وهشام.

إلى كل أقاربي وأفراد أسرتي كلثوم وسارة وأحلام.

إلى رفيقتي دربي حنان وشهرة

إلى من جعلهم الله إخوتي في الإسلام:

نسرين وحنان ونسرين ورندة وسارة

إلى كل من قدم لي يد العون وساندني على إنجاز هذا العمل.

مقـــدمة

مقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يعد السياق من المفاهيم اللسانية الأساسية التي يبنى عليها إنتاج النص وفهمه كما أنه يعد من النظريات الدلالية التي لها علاقة بالمعنى، وقد خاض علماء اللسان المعاصرون في هذا المفهوم ودرسوا معناه ودلالته ومجاله في تأويل المعنى، وعليه فالسياق يعمل على تفسير النصوص القرآنية وفهم مقاصد التشريع العامة والوقوف على جوهر النصوص الأدبية.

وقد قسم علماء اللسان والدلالة السياق إلى نوعين: سياق لغوي تندرج ضمنه المستويات اللسانية كالمستوى الصوتي، المعجمي، التركيبي، الدلالي، وهذا المستوى يهتم بالبنية اللغوية للنص أو الخطاب أما السياق الأخر فهو سياق الموقف أو المقام الذي يهتم بالظروف والحيثيات التي تحيط بالنص، وهذا النوع له علاقة بتأويل المعنى والوصول إلى المقصود من النص ويشمل سياق الموقف على جملة من العناصر كالمتكلم والمخاطب والمكان والزمان والسياق الاجتماعي والثقافي وأحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم.

وهذا المفهوم أي السياق هو مفهوم قار في المدونة العربية إلا أنه جاء بألفاظ وكلمات أخرى لكنها لها نفس دلالة السياق في المفهوم اللساني المعاصر.

وانطلاقا مما سلف هناك أسباب دعتني لاختيار مفهوم السياق في تفسير الرازي:

1-قناعتي بأن السياق متجذر في تراثنا العربي وليس الغرب الذي عرفنا به ، بيد أن هؤلاء الغربيين قد نظموه في إطار نظرية متكاملة، ولم يتمكن نقادنا التراثيون من لمه في نظرية عربية أصيلة بإمكان أن تبرر العملية النقدية بموضوع وقناعة و بالمقابل فإن جهود هؤلاء ملفتة للانتباه وبحاجة إلى إظهار و توكيد .

2-إبراز مفهوم السياق عند علماء اللغة العرب.

3-إبراز مفهوم السياق في الفكر اللساني العربي.

4-إبراز مفهوم السياق في التفسير الكبير" للرازي" من خلال أسباب ما نراه ونعلمه في تفسير الكبير للرازي يمكن أن نطرح الإشكالية التالية:

- كيف تجلى مفهوم السياق في تفسير الكبير للرازي؟ وما دوره في عملية التأويل النصي؟

ومن خلال الإشكالية الكبرى يمكن أن نطرح الأسئلة الفرعية التالية:

1-ما مفهوم السياق عند الرازي؟

2-ما هي أنواع السياق عند الرازي؟

3-ما وظيفة السياق في عملية التأويل النصي؟

ومن خلال الإشكالية نستطيع أن نجعل خطة البحث كالتالي:

- مقدمة وفصلان وخاتمة، حيث خصصت في الفصل الأول تحديد مفهوم السياق اللغوي عند علماء اللغة العرب وعلماء الفكر اللساني المعاصر وأظهرت ملامح السياق اللغوي عند " الرازي " من خلال مفهومي النظم والتعلق، أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه مفهوم سياق الموقف عند علماء اللغة العرب و علماء الفكر اللساني المعاصر مع إظهار بعض ملامح سياق الموقف من خلال أسباب النزول والقران المكي والمدني، أما الخاتمة فكانت حصيلة لأهم النتائج المتوصل إليها في هذا الموضوع.

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي لأنه يلاءم هذا النوع من الدراسات التي توصف الظواهر اللغوية و تحللها اعتمادا على المفاهيم اللسانية التواصلية المعاصرة.

ولقد سبقت دراسات تناولت مفهوم السياق بشكل مفصل كدراسة " دلالة السياق " لردة الله بن ضيف الطلحي ودراسة " استراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

ومن الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجاز البحث فهي كثيرة أهمها: نقص المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع في مكتبة الجامعة، وتطبيقات ذلك على كتب التفسير "للرازي".

ومن الصعوبات أيضا ما اتسم به موضوع البحث من السعة والعمق والتفاصيل يعسر جدا على أي مبتدأ أن يحصره في بعض النقاط الأساسية وهذا ما حاولت أن أفعله في عملي هذا، علما أن لكل شيء ما تم نقصانا.

واعترافا بالجميل أخص الأستاذ الفاضل الدكتور " سوداني عبد الحق" بالشكر والتقدير فقد استطعت بفضله أن أتخطى العقبات ليكتمل هذا العمل على صورته وإلى الأساتذة المناقشين الشكر الجزيل على الملاحظات التي سيدونها.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ونسأله تعالى الصدق في القول والعمل إنه خير مجيب.

الفصل الأول

السياق اللغوي عند الرازي

1-السياق لغة:

إن الباحث في المعاجم تستوقفه جملة من الدلالات لمادة (س، و، ق) نذكر منها ما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (395هـ) يقول: " السين والواو والقاف أصل وهو حدود الشيء يقال ساق يسوق، والسيقة ما سيق من الدواب، ويقال سقت امرأتي أي صداقها، وأسقته والسوق مشتقة من هذا كما يساق إليها مذكر شيء والجمع أسواق، وساق للإنسان وغيره والجمع سوق وإنما سميت بذلك لان الماشي يساق عليها [1].

وذكر الزمخشري (ت 538هـ) في أساس البلاغة ما يقرب العشرين معنى لهذه المادة (سوق) إذ يقول فيها " ساق النعم، فانساقت، وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا واستقتهم إبلا، ومن المجاز ساق الله إليك خيرا، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب (.....) وتساوقت الإبل: تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق، واليك سياق الحديث، وهذا الكلام مسافة إلى كذا، وجئت بالحديث على سوقه: على سرده " [2]

---

(1) – أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تج ، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط1، 1970 ، 3/ 117مادة (سوق)

(2) – الزمخشري، أساس البلاغة، تج، محمد باسل عيون السود، بيروت، لبنان، ط1 ،1998، ج/ 448.

وتقع أيضا (مادة سوق) في معجم (لسان العرب) في سبع صفحات من الحجم الكبير، أنفقها صاحبها في معاني هذه المادة، لكننا لم نجد من بين هذه المعاني جميعها ما يتفق والمعنى الذي تستخدم فيه كلمة السياق عند اللغويين، سوى معنى واحد فقط، وجدنا بينه وبين هذه الكلمة علاقة وطيدة لمن يمعن النظر فيها يقول: ابن منظور (ت771هـ) في مادة (سوق): السوق معروف، وساق الإبل، وغيرها يسوقها سوق سياقا وهو سائق السواق (.....). [1]

كما تناول الفيروز أبادي هذه المادة (سوق) فقال " والسياق كتاب: المهر والمنساق: التابع، والقريب (.....) وتساوقت الإبل تتابعت و تقاودت والغنم تزاحمت في السير.[2]

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور في فلك التتابع، والاتصال، كما أن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ما ذكرنا، فان سوق الإبل وتساوقها من التتابع اتصال لا انقطاع فيه، وساق الإنسان كذلك، والمهر، وسوق الروح، والسوق سوق البيع والشراء، كذلك على معنى التتابع والاتصال.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، 304/7.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تج، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 335،336.

2- السياق اللغوي عند علماء العرب:

لم يشر:" سيبويه " (ت180هـ) صراحة للسياق اللغوي، وإنما تحدث عن الاستقامة والإحالة في الكلام فقال:" فمنه مستقيم حسن، ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال الكذب فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا. و أما المحال:فان تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غذا، وسآتيك أمس وأما المستقيم الكذب فيقول: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك وأشباه هذا وأما المجال الكذب فان تقول " سوف أشرب ماء البحر أمس".[1]

هذه التراكيب التي لها صلة بالسياق تعددت " في لغتنا وتباينت فيما بينها، تبعا لطبيعة ذاك التراصف وملابسات السياق مما استدعى ظهور أنماط تركيبية يقبل بعضها، ويرفض بعضها الأخر وقد تكفل " سيبويه " بعضا منها بإعطاء أمثلة كلامية، قوامها الكلام

---

(1) سيبويه، الكتاب، تر، عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،ط2 ، ج 1، 1979،ص 95 .

العربي "[1]واستطاع سيبويه من خلال هذه الإشارة إلى التنوع في التركيب أن يمهد للذي يأتي بعده لتحديد أهمية السياق في تحديد الظروف المحيطة بالمعنى.

أما "ابن جني "(ت 392هـ) فقد اشتهر بما يسمى " السياق المقام " عند قولـه:".....ألا ترى إلى قوله :

تقول– وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس!

فلو قال حاكي عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ـ من غير أن يذكر صك الوجه لإعلامنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدت لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل (ليس المخبر كالمعاني).[2]

(1) خديجة الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام، مصر، ط 1، 2009، ص 103.

(2) ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد على النجار، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2006، ص206.

وذكر " ابن جني " نماذج غير صريحة لسياق الجملة كقوله: " من أن المحذوف من اللفظ إذا دلت عليه كان بمنزلة الملفوظ به، ألا ترى أن أكبر لما جاء مثنى دل على أن المخبر عنه مثنى كذلك....."[1].

انصب اهتمام البالغين في دراستهم للسياق على فكرة (مقتضى الحال) والعلاقة بين المقال والمقام، كما اهتموا بكلام المتكلم والمستمع.

وإذا ما نظرنا إلى المقال على أنه يمثل السياق اللغوي فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوه عناية كبيرة و ليس أدل على ذلك من ربط " عبد القاهر الجرجاني " فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي و التركيب الذي قيلت فيه ، يقول :" و جملة الأمر أن لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه لكن توجبها لها موصولة بغيرها ، و معلق معناها بمعنى ما يليها فإذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى : " قل رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا و لم أكن بدعائك ربي شقي " مريم -4- أنها في أعلى

(1) المرجع السابق، ص 238.

المرتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ، و لكن موصول بها الرأس معرف بالألف و اللام و مقرون إليها الشيء منكرا منصوبا ."[1]

ويقول في موضوع آخر " فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة للمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ.[2]

أسهب " الجرجاني " (ت421) في الحديث عن نظريته في النظم وما يتعلق بها من قضايا نحوية و سياقية من أجل معرفة المعنى من خلال التراكيب.

ومن بين أهمية السياق الذي ترد فيه العبارة في هذا المجال فكلمة (ربض) خارج النظم لا تفرق عن (ضرب) لكن ربض الكلب يخالف ضرب محمد أخاه فبالتراكيب يحصل استحسان الكلمة وقبولها أو رفضها الكلمة في السياق تتعلق بما يجاورها ويجعل هذا بسبب من تلك، وهذا بمراعاة أحكام النحو ومعانيه والاختبار الدقيق في التعلق ....." والنظم

---

(1) محمد حاج احمد، السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية التراثية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري (تيزي وزو) ،2012، ص 76.
(2) المرجع السابق، ص 79.

ليست قواعد نحوية خالصة وإنما هو سياق ترتيبي يتعلق " بمعاني النحو، ووضعها موضعها، لا بمعرفة مصطلحات الصرف والنحو وإتقان قواعدها"[1]

والجرجاني من الباحثين القدامى الذين أشاروا إلى أهمية السياق من خلال الربط بين النحو وعلم المعاني، وكان هذا الاجتهاد سندا متينا للباحثين في العصر الحديث.

أما علماء أصول الفقه " فقد اعتمدا على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية إذ يعد اللجوء إلى قرائن السياق من وسائلهم لتحديد المعنى وقد وعوا تماما أن ثمة نوعين من القرائن السياقية الأولى هي " القرائن اللفظية " والثانية هي " القرائن المقامية " وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة النص.[2]

ومن عناصر السياق اللغوي التي اعتمد عليها الأصوليون في رصد الدلالات المختلفة للأمر والنهي ما يسمى بالبنية والتنغيم في الدراسة اللغوية الحديثة.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999، ص 54.

(2) محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة علم الكتب، القاهرة، ط1، 1991، ص12.

أولى " ابن تيمية " عناية كبرى للسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي حيث صرح "أن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه لا يعرف مقصود القرآن الكريم ولا السداد من الضلالة لهذا أصر الأصوليون على دراسة اللغة العربية سواء لذاتها أو بحثا عن فهم النص القرآني، ومن ثم العمل به على أحسن صورة.[1]

3-السياق اللغوي عند علماء اللسان:

يعد عالم اللغة الإنجليزي " جون فيرث " (1890-1960م) أحد رواد البحث اللساني، والقطب المؤسس للمدرسة الاجتماعية الإنجليزية أو مدرسة لندن ، إحدى أهم أربع مدارس عرفها الدرس اللغوي الحديث ، فقد نشأ أول قسم لعلم اللغة في بريطانيا ، وكان الرائد في تدريس علم اللغة العام في الجامعة البريطانية عام 1944 م ، وفي خصم بحوثه ودراساته وضع نظرية لغوية عامة جاءت مكملة للدراسات اللغوية التي ظهرت في بريطانيا آنذاك ، حيث كانت له اهتمامات خاصة و ولع شديد باللغات الشرقية لا سيما، زمن تواجد بالهند و تأثره بأعمال اللغوية الهندية القديمة ، لهذا فإن لمدرسة لندن اللغوية ، كانت صنفا من

(1) المرجع السابق ص 16.

اللغويات التي كان فيه التنظير محكوما بتآلف صحي مع حقائق وواقع الألسنة الغربية ، وكانت أهم إنجازاته اللغوية " نظرية السياق " .

لقد ذاع صيت هذه النظرية، وملأت الأرجاء بما تضمنته من أفكار لغوية علمية مقنعة إلى حد كبير، وفي إطار منهجي محدد المعالم وهي أساس إحدى النظريات اللغوية الحديثة التي تعرضت للمعنى ومشكلاته، وتنبني على أمرين اثنين:

1-السياق اللغوي أو تحليل النص وفق مستوياته اللغوية والإفادة من القرائن المقالية المتوفرة.

2-السياق الحالي أو المقامي أو سياق الموقف.

وغالبا ما يذكر الاثنين معا في كلام اللغويين.

لقد انبرى " فيرث" في ضوء دراسة المعنى ببحث جملة الطرق الدقيقة التي تمكن من المعنى و توصيل لفحوص النص، فرأى أن المعنى هو مجموعة خصائص الكلمة التي لا استقلالية لها و لا ذاتية لدلالتها، فهي ".....ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته ، و أن وجودها ومعناها شيئا نسبيا ، يمكن ملاحظة كل منهما في سياق غيرهما من الكلمات والمعاني ، أو عن طريق التقابل بينهم ، و على ذلك فإن ما تدل عليه الكلمة ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات ....."

والمعنى إذ ذاك ليس شيئا في الذهن أو العقل، ولا علاقة متبادلة بين الصورة السمعية والصورة الذهنية للشيء، أو بين الدال والمدلول واللفظ والمعنى بل كما أكد أكثر من مرة وفي أكثر من موضوع هو ".....الوظيفة في السياق حالا ومقالا " أو بعبارة أوضح ".....المعنى كله وظيفة في السياق " تحدده العلاقة بين المواقف وتوزيع العناصر اللغوية، ومن الأمثلة التي ضربها "فيرث " في شرح وجهة نظره في الجملة الإنجليزية say when قل" متى" التي تتعدد دلالتها بتعدد السياقات الممكن ورودها فيها وبمصاحبتها الصوتية.[1]

يتحقق المعنى من منظور "فيرث" بربط نتائج تحليل العناصر اللغوية الواقعة في سياق معين بعضها ببعض بعد تحليل الحدث الكلامي إلى عناصره المكوناتية وفق مستوياته اللغوية وفي هذا الصدد يقول " اقترح تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف الجزئية، وسوف تعرف كل وظيفة بحسب استعمالها شكلا أو عنصرا في لغة معينة من خلال علاقتها بنص ما ويمكن القول بأن المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقدة، وعلم الأصول والقواعد والمعاجم والدلالة، كل واحدة من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النص المناسب المعقد ....." ولأن اللغة بطبيعتها نظام معقد متشعب الجوانب، فإنه ليس في الوسع دراستها

---

(1) غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، العدد السادس، بسكرة، 2010، ص 2،3.

دفعة واحدة، ولا مفر من التركيز ".... على هذه الجوانب على مراحل متعددة بواسطة استخدام مداخل مختلفة يطلق عليها اسم: مستويات التحليل اللغوي والتي أجمع كثير من اللغويين على جعل المستوى الصوتي أولها تطرقا وتتمثل هذه المستويات في: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي". [1]

لم يتجاوز النحويون في التركيب ، حد الجملة في تحليلاتهم ، من البنويين والتوزيعين حتى النحو التحويلي عند " تشومسكي " و من بعده ، كما لا يتجاوز الباحثون محتوى القضية في التحليل الدلالي في حين قدم نحو النص و تحليل الخطاب لبعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة ، أجزاء الخطاب في المحادثات ، المحاورة ، و كذلك النماذج الحجاجية في بعض نماذج الخطاب مثل : الخطاب السياسي لقد كشفوا عن علاقات تتجاوز الإحالة بين الجمل مثلا ، فأعدوا بناء تماسك النص بوصفه نظاما أكبر في النحو ليمكن المرسل إليه من اكتشاف دلالة هذه الوحدات الكبرى و لكن يبدوا انه من الصعب تفسير التماسك النصي كصنف نحوي صرف وعليه ضمن المهام النظر إليه من خلال علاقته بالإجراءات الاجتماعية النفسية .[2]

---

(1) المرجع نفسه ص 4.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار أوبا، ط1، طرابلس ،2004، ص42.

يرجع السياق اللغوي عند أعلام المنهج التوزيعي كـ: " بلومفيلد، وهاريس " على أشكال منها: السياقات المتعادلة فهنا ينبغي الإشارة إلى أن هذا النوع من السياقات تشترك دلاليا " فمثلها " قلمي " و " دفتري " في عبارة " هذا قلمي " و " هذا دفتري " ونلاحظ أن السياق مشترك هنا بين القلم والدفتر، ولذا فإنه يمكننا أن نقول هاتين الوحدتين اللغويتين إنهما تنتميان إلى طبقة توزيعية واحدة، وإنهما متعادلتان " ومنها السياقات المتكاملة،هي من السياقات التي لا يمكن الاستغناء عنها عند تراكيبها المستخدمة لفظيا " فمثالها " " أخذت قلمي " " وكتب على دفتري " ونلاحظ أن الوحدتين اللغويتين "قلمي " و " دفتري " لا تشتركان في سياق واحد وإنما تدخلان في سياقين يتكاملان لسانيا ....." ومن الأشكال أيضا السياقات المشتركة جزئيا وهي من الصيغ القريبة من حيث الارتباط الدلالي ويمكن الاكتفاء بواحدة برغم اتحاد السياق " فمثالها شيء " "واحد " في جمل لم أرى شيئا، لم أرى أحدا " لا يوجد أحد لا يوجد شيء "أحد لم يأت، ونلاحظ أن السياقات التي ترد فيها هاتان الوحدتان، تعد من منظور توزيعي متعادلة جزئيا، كما نلاحظ أنهما تنتميان في الأمثلة المذكورة إلى طبقة توزيعية واحدة ....".[1]

(1) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعيات، الجزائر ،2002، ص242.

4-السياق اللغوي عند الرازي:

4-1: النظم:

أورد الرازي مجموعة من المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالسياق اللغوي منها: مفهوم النظم أو التعلق أو التعالق.

فقد عرف النظم " بأن تضع كلامك على النهج الذي يقتضي علم النحو و العمل بقوانينه و أصوله "[1].و بعد أن أورد الرازي هذا التعريف أتى بأمثلة و نماذج في كيفية نظم الكلام و ختم " بأن مدار النظم على الوجوه و الفروق التي ذكرناها و التي لا بد فيها من مراعاة المعنى و الغرض الذي يوضع له الكلام ، فإذا استحسن التذكير في موضع فليس من الضروري أن نستحسنه في كل موضع و اذا استحسنت الفصل في مكان فليس من الضروري أن تفضله في كل مكان ، و انما كان المعنى و الغرض هو الذي يستدعي الحالة المعنية التي يحسن بها الكلام ، فإذا فقدها فقد الحسن و اتسم بالقبح ". [2]

---

[1] الرازي، تسهيل الإيجاز في دراسة الإعجاز، تح،عبد القادر حسن، دار الأوزاعي، ط1، 1989،لبنان، ص 113.

[2] المرجع نفسه، ص115.

ويعطي الرازي مفهوم النظم عبر تضامن الكلمات مع بعضها يقول:" إن النظم إنما يحصل في كلمات تضم بعضها إلى بعض فالنظم لا تعتبر فيه الكلمات منفردة فحسب، بل لا بد فيه من مراعاة انضمام بعضها إلى بعض. [1]

أمثلة عن النظم:

المثال الأول:

قوله تعالى: " أقم الصلوات لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقران الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا ". [2]

يقول الرازي " أن في نظم الآية وجوه **الأول** : في أن الله تعالى لما قرر أمر الإلهيات و المعاد و النبوات أردفها بذكر الأمر بالطاعات بعد الإيمان و اشرف الطاعات بعد الإيمان الصلاة فلهذا السبب أمر بها أما الثاني : في أن الله تعالى لما قال : " و إن كادوا ليستفزونك من الأرض " أمر الله تعالى بالإقبال على عبادته لكي ينصره عليهم فكأنه قيل له لا تبال بسعيهم في إخراجك من بلدتك و لا تلتفت إليهم و اشتغل بعبادة الله تعالى و

---

[1] الرازي، تسهيل الإيجاز، ص 114.

[2] سورة الإسراء الآية 78

دوام على أداء الصلوات فإنه تعالى دفع مكرهم و شرفهم عنك و يجعل يدك فوق أيديهم و دينيك غالبا على أديانهم و نظيره قوله في سورة "طه" "فاصبر على ما يقولون و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من أنائي الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى".

وقال:" ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " –الحجر–99.

أما الثالث في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا اذهب إلى الشام انه مسكن الأنبياء عزم صلى الله عليه وسلم على الذهاب إليه فكأنه قيل له: المعبود واحد في كل البلاد وما النصرة والدولة إلا بتأييده ونصرته فدوام على الصلوات وارجع إلى مقرك ومسكنك وإذا دخلته ورجعت إليه فقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجعل لي في هذا البلد سلطانا نصيرا في تقرير دينك وإظهار شرعك والله اعلم. (1)

" وبهذا النظم تتضافر الآيات مع بعضها البعض فيحدث ترتيب لآياتها تتشكل المعاني بطريقة منسجمة، فتصبح أجزاء بعضها آخذا بعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط

(1) الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر، ط1، 544،604 هـ، ج 21، ص 4926.

ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم والمتلائم والمتسق بالأدوات اللغوية المتماسكة عبر الدلالات ".

المثال الثاني:

قوله تعالى: " إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا، وأنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ". [1]

يقول الرازي " بان للنظم وجه كأن الله تعالى يقول يا محمد إني خلقت الأرض وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم إنهم يكفرون ويتمردون مع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم فأنت أيضا يا محمد ينبغي ألا تنتهي في الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق. [2]

" وبهذا النظم ترتبط الآيات ببعضها البعض وتتضافر فيما بينها وذلك لتحقيق المعنى والغرض من هذه الآية مشكلة بنية دلالية منسجمة متدفقة بكل أشكال الاتساق والانسجام بين الآيات ".

---

(1) سورة الكهف الآية 8.

(2) الرازي التفسير الكبير، ج 21، ص 43-47.

المثال الثالث:

قوله تعالى: " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إن اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا". (1)

يقول الرازي " في نظم الآية الوجه الأول : أنه تعالى لما أمر رسوله بأن لا يلتفت إلى أولئك الأغنياء الذين قالوا إن طردت الفقراء آمنا بك ، قال بعده :" و قل الحق من ربكم " أي قل لهؤلاء إن هذا الدين الحق إنما أتى من عند الله فإن قبلتموه عاد النفع إليكم و إن لم تقبلوه عاد الضرر إليكم و لا تعلق لذلك بالفقر و الغنى و القبح و الحسن و الخمول و الشهرة ، الثاني : في تقرير النظم يمكن أن يكون المراد أن الحق ما جاء من عند الله تعالى و الحق جاءني من عنده أن أصبر نفسي مع هؤلاء الفقراء و لا اطردهم و لا التفت إلى الرؤساء و أهل الدنيا . و الثالث : في تقرير النظم أن يكون المراد هو أن الحق الذي جاء من عند الله ضمن من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر وأن الله تعالى لم يأذن في طرد من آمن و عمل صالحا لأجل أن يدخل في الإيمان جمع من الكفار ، فإذا قيل " أليس أن العقل يقتضي ترجيح الأهم على المهم فطرد أولئك الفقراء لا يوجب إلا سقوط " حرمتهم و

---

(1) سورة الكهف الآية 29.

هذا ضرر قليل ، أما عدم طردهم فإنه يوجب بقاء الكفار على الكفر و هذا ضرر عظيم : قلنا : أما عدم طردهم فإنه يوجب بقاء الكفار على الكفر فمسلم إلا من ترك الإيمان لأجل الحذر من مجالسة الفقراء فإيمانه ليس بإيمان بل هو نفاق قبيح ، فوجب على العاقل أن لا يلتفت إلى إيمان من هذا حاله و صفته .[1]

" وبهذا النظم تترابط الآيات مع بعضها البعض فيحدث ترتيبا لآياتها، هذا الترابط يؤدي إلى تشكل المعاني بطريقة منسجمة ومتماسكة بين الآيات.

المثال الرابع:

قوله تعالى: " وويل للمشركين، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون"[2]

يقول الرازي " في نظم هذه الآية وجوه. الأول: أن العقول خلاصة السعادات مربوطة بأمرين: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، وذلك لأن الموجودات، إما الخالق وإما الخلق، فأما الخالق فكمال السعادة مربوطة بأمرين: التعظيم لأمر الله

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج 21، ص 43-83.
(2) سورة فصلت الآية 7.

و الشفقة على خلق الله ، و ذلك لان الموجودات، إما الخالق و أما الخلق ، فأما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معه أن يقر بكونه في نهاية العظمة في اعتقادنا و هذا هو المراد من التعظيم لأمر الله ، و أما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معهم أن يسعى في دفع الشر عنهم و في إيصال الخير إليهم ، و ذلك هو المراد من الشفقة على ما خلق الله ، فثبت أن أعظم الطاعات التعظيم لأمر الله ، و أفضل أبواب التعظيم لأمر الله الإقرار بكونه واحد و إذا كان التوحيد أعلى المراتب و أشرفها كان ضده و هو الشرك أخصه المراتب و أرذلها ، و لما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق هو إظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الأعمال لأنه ضد الشفقة على خلق الله ، إذا عرفت هذا فتقول انه تعالى اثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاث أولهما : أن يكون مشركا و هو ضد التوحيد و إليه الإشارة بقوله : " وويل للمشركين " و ثانيهما: كونه ممتنعا من الزكاة و هو ضد الشفقة على خلق الله، واليه الإشارة بقوله: " الذين لا يؤتون الزكاة " و ثالثهما: " كونه منكرا للقيامة مستغرقا في طلب الدنيا و لذاتها و إليه الإشارة بقوله " و هم بالآخرة هم كافرون " و تمام الكلام في انه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة أن الإنسان له ثلاث أيام " الأمس و اليوم و الغد . أما معرفة انه كيف كانت أحوال الأمس في الأزل فهو بمعرفة الله تعالى الأزلي الخالق لهذا العالم. وأما معرفة انه كيف ينبغي وقوع الأحوال في اليوم الحاضر فهو بالإحسان إلى أهل العالم بقدر الطاقة، وأما معرفة الأحوال في المستقبل فهو الاقتراب

للبعث والقيامة، وإذا كان الإنسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال، فلهذا حكم الله عليه بالويل، فقال:" وويل للمشركين، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون " وهذا ترتيب في غاية الحسن والله أعلم. أما الوجه الثاني: في تقرير كيفية النظام أن يقال المراد بقوله: " لا يؤتون الزكاة " أي لا يزكون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم " لا إله إلا الله، وهو مأخوذ من قوله تعالى: " ونفس وما سواها " الشمس-7-أما الثالث " قال الفراء: إن قريشا كانت تطعم الحاج فحرموا ذلك من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم. [1]

" وبهذا يتبين أن هذه الآيات تتماسك وتترابط مع بعضها البعض مشكلة أهم مظاهر الاتساق والانسجام للنص القرآني هذا الترابط يؤدي إلى فهم معنى وغرض هذه الآيات".

وخلاصة القول أن " الرازي " وظف مصطلح النظم كمفهوم تتماسك عبره الآيات والسور مع بعضها البعض مشكلة بنية دلالية منسجمة وذلك عبر ربط المعاني المتماثلة أو المتضادة ببعضها البعض أو من خلال المعاني المتدفقة عبر النص القرآني لأن مصطلح النظم هو مصطلح جامع بكل أشكال الاتساق والانسجام للخطاب، كما انه يشمل السياقات

---

(1) الرازي، تسهيل نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز،ص116

الموقفية التي من خلالها تفهم تأويلات هذه المعاني من أجل الوصول وفهم دلالة وقصد الخطاب.

4-2: التعلق:

كما أن مفهوم التعلق يندرج ضمن السياق اللغوي عند الرازي " فقد يتعلق بعضها بعض ويرتبط الثاني بالأول [1]. وهذا الضرب لا يستحق الفضيلة إلا بسلامة معناه وسلامة ألفاظه وليس فيه معنى يدق حيث يحتاج إلى ثقاب الرأي دقيق النظر ". [2]

أمثلة عن التعلق (التعالق):

المثال الأول:

قوله تعالى: " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق". [3]

---

(1) المرجع السابق، ص 116.

(2) المرجع السابق، ص 117

(3) سورة الفرقان الآية، 17.

يقول الرازي في سبب تعلق هذه الآية بما قبلها أن القوم لما طعنوا في الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وبأنه فقير، كانت هذه الكلمات جارية مجرى الخرافات، فإنه لما قامت الدلالة على النبوة لم يكن لشيء من هذه الأشياء أثر في القدح فيها، فكان النبي يتأذى منهم من حيث أنهم كانوا يشتمونه، ومن حيث أنهم كانوا يذكرون الكلام المعوج الفاسد وما كانوا يفهمون الجواب الجيد، فلا جرم صبره الله تعالى على تلك الأذية ويبين انه جعل الخلق بعضهم فتنة للبعض. [1]

" وبهذا التعالق تترابط وتتعالق الآيات بما قبلها هذا التعالق يحدث انسجام الآيات من أولها إلى آخرها فيشكل في النهاية الدلالة الكلية لهذه الآية.

المثال الثاني:

قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة لتعتادونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ". [2]

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج24، ص 5033.

(2) سورة الأحزاب الآية 49.

يقول الرازي " وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما ذكرناه، لكن الله تعالى أمر عباد المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل، فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه، فكلما بدأ الله في تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله:" يا أيها النبي اتق الله " الأحزاب -1-

وثنى بما يتعلق بجانب من تحت يده من أزواجه بقوله: " يا أيها النبي قل لأزواجك" الأحزاب 28. وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله:" يا أيها النبي إن أرسلناك شاهدا " الأحزاب 45.

كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال:" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا " الأحزاب -41-، ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله: "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات " ثم كما ثلث في تأييد النبي جانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم، فقال بعد هذا: " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي " الأحزاب -53-. وبقوله: " يأيها الذين آمنوا صلوا عليه " الأحزاب -57[1]

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج25، ص 5408.

" وبهذا التعالق فإن الآيات تنسجم وتتضافر فيما بينها فالوظيفة التي تؤديها الآية هو معرفة سبب وجودها في هذا الموقع بالذات وهي وظيفة تتأسس على المعنى الإجمالي للسورة ".

المثال الثالث:

قوله تعالى: " الم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ". [1]

يقول الرازي: وجه تعلق هذه السورة بما قبلها يتبين منه سبب النزول، فنقول لما قال الله تعالى في السورة المتقدمة: " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " العنكبوت 46. وكان يجادل المشركين بنسبتهم إلى عدم العقل كما في قوله:" صم بكم عمي فهم لا يعقلون" البقرة 171. وكان أهل الكتاب يوافقون النبي في الإله كما قال: "والاهنا والاهكم واحد "العنكبوت 46. وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين له كما قال: " فالذين أتيناهم أهم الكتاب يؤمنون به " العنكبوت 47. أي أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور فلما وقعت الكرة عليهم حين

---

(1) سورة الروم الآية' 4.

قاتلهم الفرس المحبوس فرح المشركون بذلك، فأنزل الله هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق، بل الله تعالى قد يريد مزيد ثواب في المحب فيبتليه ويسلط عليه الأعادي، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد للمعادي. (1)

ففي هذه السورة ربط الرازي بين سورة الروم وسورة العنكبوت من حيث المعاني المتماثلة مما تولد هذا التعالق بينهما فكون بنية دلالية كلية واحدة.

المثال الرابع:

قال تعالى:" قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمان وصدق المرسلون" (2)

يقول الرازي ما وجه تعلق:" من بعثنا من مرقدنا " بقولهم " يا ولينا " نقول لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل، فقالوا: يا ولينا من بعثنا أبعثنا الله البعث الموعد به أم كنا نياما فنبهنا؟ وهذا كما إذا كان إنسان موعودا بأن يأتيه عدو لا يطيقه، ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول: هذا ذلك أم لا؟ ويدل على ما ذكرنا قولهم: "من

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج25، ص 5302.

(2) سورة يس، الآية 52.

مرقدنا " حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا في أنهم كانوا نياما فنبهوا أو كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين، فقالوا: " من بعثنا" إشارة إلى ظنهم انه بعثهم الموعود به، وقالوا: " من مرقدنا " إشارة الى توهمهم احتمال الانتباه. [1]

وبهذا يتبين أن أهمية التعالق بين الآيات والسور فيما بينها أنها تجعل أجزاء الكلام مرتبط ومتسق مع بعضه البعض فيقوي بذلك الترابط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

وظف الرازي مصطلح التعلق أو التعالق كمفهوم ترابط عبره الآيات والسور مع بعضها البعض، وان القرآن الكريم متسق المباني والمعاني فالسورة الثانية تترابط مع السورة الأولى، والرابعة تتعالق مع الثانية وهكذا فقد حرص على ربط أكثر الآيات بما قبلها، قبل الشروع في تفسيرها.

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج26، ص 5549.

وان مصطلح التعلق هو مصطلح جامع بكل أشكال الاتساق والانسجام للخطاب القرآني وذلك من خلال تعالق السور ببعضها البعض، وهذا ما نسميه بالانسجام الدلالي الذي يقع بين معاني السور المتتالية في القرآن الكريم فيشكل البينة الدلالية الكبرى.

الفصل الثاني

سياق الموقف عند الرازي

1- سياق الموفق عند علماء العرب:

يدل سياق الموقف على العلاقات الزمنية والمكانية التي تجري فيها الكلام أو على حد تعبير " عبد القادر الجليل": هو مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامية ابتداء من المرسل والوسط وحتى المرسل إليه بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر، فمن أجل فهم نص ما يجب معرفة كل القرائن والظروف التي تحبط به باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس والغموض عن النص.

اذ ما يؤديه السياق للمعنى من تحديد ومناسبة ظريفة يتطلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها، ولذلك يمهد عادة لأثار الأدبية بدراسة البيئة الزمنية والمكانية وللملابسات الشخصية لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من ذلك الأثناء.[1]

لقد فهم البلاغيون (المقام) أو (مقتضى الحال) فهما سكونيا قالبي نمطي مجردا ثم قالوا لكل مقام مقال ، فهذه المقامات نماذج مجردة و اطر عامة ، و أحوال ساكنة و بهذا

---

(1) – فطومة لحمادي، السياق والنص، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان الثاني والثالث، بسكرة، جوان، 2008، ص 19.

يصبح المقام عند البلاغيين سكوني (static) فالذي اقصده بالمقام ليس إطار ولا قالب و إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه ، كما يعتبر السامع والكلام نفسه و غير ذلك مما له اتصال بالتكلم (speech event) و ذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف خارجي نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال ، و على الرغم من هذا الفارق بين فهمي و فهم البلاغيين للمصطلح الواحد أجد لفظ المقام أصلح ما اعبر به عما افهمه من المصطلح الحديث . (contexte of situation).

الذي يستعمله المحدثون، ومع هذا التحفظ إلا انه يفضل استعمال مصطلح المقام في النهاية مع مخالفته للعرب في مرجعه [1]

أما سياق الموقف فقد أطلق عليه اللغة والتفسير والبلاغة مصطلح الحال والمقام و يعنون به القرائن الخارجية المتعلقة بالمتكلم والمخاطب أو الحالة العامة للكلام مع اعتبار المكانة الاجتماعية لطرفي التخاطب ويطلق عليه غيرهم بالمشاهدة والمشاهد والدليل والقرائن والمقام والموقف.

---

(1) – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار أوبا، ط1، طرابلس ،2004، ص 41

انطلق علماء الإسلام في حصر العناصر التي تقع خارج النص وترتيبها وتصنيفها كل بحسب الموضوعات العامة ثم عمدوا إلى كل موضوع فصنفوا أجزاءه ورتبوا عناصره، ومن أمثلة العناصر العامة التي نصوا عليها ما يتعلق بالآية من أحوال الزمان والمكان، لان ما ينظر في الآية عليه أن يستحضر الملابسات الزمانية والمكانية لها، وكل يحق بها من القرائن والمقامات وما يحيط بالمعاني من الظروف والأحوال العامة وكلما تمكن الناظر من ذلك كان فهمه للآية أتم وأمكن.

فالقرآن الكريم قد تعددت مواقفه في مواجهة أوضاع الجاهلية، فكان خطابه يتلاءم والظروف المستجدة، لذا كان ينبغي على اللغوي أن يعرف ترتيب ما نزل بمكة أو المدينة وما نزل بمكة والمدينة حكمه المدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما يشبه نزول المكي في المدني وما نزل بالجحقة و ما نزل ببيت المقدس ، و ما نزل بالطائف و ما نزل بالحديبية ، و ما نزل ليلا و ما نزل مشيعا، إذ هي أول ما يجب الوقوف عليها و أولى من تصرف العناية إليها لامتناع تفسير الآيات و قصد سبيلها دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها " وبها يشكل القصد الجمعي للجماعة التخاطبية التي تدرس الحالة الثقافية والفكرية والشرعية في المجالات التعبدية والاجتماعية ، كالعبادة والسلوك والزواج والطلاق والقتال وغيرها ، والقائم على المنطق اللغوي المتجاوز للسياقات التنزيلية نحو السياقات المتعددة،و ذلك إرساء لقواعد تكييف

الخطاب حسب الحيثيات المستجدة .وهنا تبرر العبارة المشهورة للأصوليين " هل العبرة لعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟.

الرأي الغالب هو أن " مقصود الشارع و مراده يعم بالحكم جميع المكلفين و دليل ذلك عدوله إلى التعبير بالألفاظ العامة التي تشمل سائر الأفراد دون الألفاظ الخاصة ، التي تقتصر على أصحاب الواقعة أو على السائلين على حكم من الأحكام ، فإذا ورد اللفظ العام في مناسبة خاصة فالحجة في اللفظ العام وهو باق على عدمه وليس خاص بالمناسبة التي ورد فيها ويرى " الغزالي " أن لا وجه لإنكار بقاء العام في عمومه دون تخصيصه بسبب ذلك لإنكار أن أكثر أصول الشرع خرجت على أسباب كقوله تعالى : " والسارق والسارقة " نزلت في سرقة المجن أو رداء صفوان و أنزلت آية الظهار في سلمة بن صغر ، و آية اللعان في هلال بن أمية ، وكل ذلك على العموم و هو يدل على أن السبب غير مسقط للعموم " و إذا أردنا أن نضع هذا القول الأصولي في إطار المقاربة الخطابية و ما نزل مفردا ، و الآيات المدنيات في السور المكية و الآيات المكيات في السور المدنية ، و ما حمل من مكة إلى المدينة ، و ما حمل من المدينة إلى مكة و ما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، و ما نزل مجملا ،و ما نزل مفسرا ، و ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني و بعضهم مكي ، فكل هذه الأوضاع و الأحوال ماهي إلا عناصر سياقية ، تعبر عن وقائع

الخطاب القرآني و هي بمثابة سمات سياقية للقرآن ، تضبط المقصود من الآيات و الصور باعتبارها مراد الله تعالى .

فالأصوليون وعلماء التفسير جعلوا السياق نوعين، سياق لغوي وسياق الحال " فالأول منهما يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص، وهو يزيل اللبس عن الكلمة، بينما السياق الحالي أو المقام يزيل اللبس عن الجمل، النصوص والسياق بهذا المفهوم يتعدى فضلا عن ذلك الجو البيئي والنفسي المحيط بكل من المتكلم والسامع.[1]

فصل " ابن تيمية " تفسير القرآن بمراعاة جملة من عناصر الموقف القرآني خاصة لذلك كان من اللازم عند ابن تيمية " لمن يريد أن يفسر القرآن أن ينظر إلى:

1-المتكلم بالقرآن

2-المنزل عليه

3-المخاطب عليه

4-سياق الكلام

---

(1) – سوداني عبد الحق، التداولية في التراث اللغوي العربي القديم، رسالة دكتوراه، جامعة عنابة، 2015، 2016، ص 144.

وإذا ما أضفنا إلى هذه العناصر الأربعة التي ذكرها " ابن تيمية" عنصريين آخرين تلزم معرفتهما عند عموم المفسرين " وابن تيمية منهم " وهما:

1-معرفة المكي والمدني

2-معرفة أسباب النزول

والعنصر الأول " أسباب النزول " من الأهمية والشهرة في التحويل عليها والإفادة منها في التفسير، ذلك أن سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

وسبب النزول مفهوم شامل للموقف الذي نزلت فيه الآية والآيات بكامل عناصرها.

من ذلك مثلا لقوله تعالى: " ليس على الذين أمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طمعوا إذا ما اتقوا وأمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا وأحسنوا والله يحب المحسنين" 93 المائدة.

فقد روى " البراء بن عازب " قال: مات أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر، فلما حرمت قال أناس، كيف لأصحابنا؟ ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية.

وقد حكي "عن عثمان بن مظعون " و" عمر بن معد يكرب" أنهما كان يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بهذه الآية ومعرفة سبب النزول يمنع هذا الفهم الذي ذهب إليه هذان الصحابيان.

غير أن العنصر الأهم الذي نود أن نؤكد عليه هنا هو اعتماد المفسرين للمكي والمدني بوصفه عنصرا مكانيا أو رمانيا، أو خطابيا، يقول الزركشي " اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

أحدهما: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني: وهو المشهور – أن المكي ما نزل قبل الهجرة وان كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وان كان بمكة.

والثالث: أن المكي ما وقع خطاب لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاب لأهل المدينة.[1]

(1) – ردة الله الحي بن صيق الله الطلحي، دلالة السياق،رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1424هـ، ص 580.

2- سياق الموقف عند علماء اللسان:

كان التصور الذي وضعه " فيرث " لسياق الموقف (contexte of situation) عبارة عن إطار منهجي يمكن من وجهة نظره تطبيقه على الأحداث اللغوية وتتكون عناصر النص عنده على النحو التالي:

أ- احداث لغوية صادرة عنهم.

ب- احداث غير لغوية

ت- أشياء خارجية ذات صلة بالحديث

ث- آثار خارجية ذات صلة بالحديث

ويلاحظ على هذا التصنيف لعناصر الموقف أنه يعد الكلام وأثره من عناصر الموقف وبتأثير من أفكار فيرث يتناول " هاليداي" السياق نصا وموفقا ليتمظهر عنده على النحو التالي:

1-المجال (filed): ويعني به " هاليداي " الموضوع الأساسي الذي يتجاوز فيه المشاركون في الخطاب، والذي تشكل اللغة أساسا مهما في التعبير عنه.

2-نوع الخطاب (mode): وهو نوع النص المستخدم لإكمال عملية الاتصال ويركز " هاليداي" على طريقة بناء النص والبلاغة المستخدمة فيه، وما إذا كان مكتوبا أم منطوقا وما إذا كان النص سرديا، أم أمريا أم جدليا .... ونحو ذلك.

3-المشتركون في الخطاب: (tenor) ويعني به " هاليداي " طبيعة العلاقة بين المشاركين في الخطاب ونوع العلاقة بينهما، هل هي رسمية أم غير رسمية عارضة أم غير عارضة .... ونحو ذلك.[1]

يذهب "هاليداي " إلى انه لابد من وضع طائفتين من المصطلحات لدراسة جانبي الدلالة، دلالة اللفظ ودلالة الظرف الخارجي، وقد أطلق " هاليداي "على النوع الأول اسم الدلالة (sematics)وعلى النوع الثاني اسم المفهومات (semioitics) أي دلالة اللفظ الخارجي. ولتحليل المفهومات فإنه ينبغي أن يميز بين مصطلحات ثلاثة:

أ- المجال (field)

ب- الهدف (target)

---

(1) - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1424هـ، ص 567.

ت- الوسيلة (tenor)[1]

يعرف " فيرث" سياق الموقف أو سياق الحال على انه نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما وكتابة، غير أن " بلوم فيلد" السلوكي حد سياق الحال بظواهر يمكن تقديرها في إطار من الإحداث العملية وهو عنده مادي ولهذا تجهده يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام وأن سياق الموقف عنده يتكون من ثلاثة عناصر هي:

1-شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة او المشاركة.

2- العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.

3-اثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء.[2]

عرف " فاندايك " سياق الموقف على "أنه لسبب مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ فكل سياق عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث "

---

(1) - المرجع السابق، ص 568.

(2) - فطومة لحمادي، السياق والنص، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان الثاني والثالث، بسكرة، جوان 2008، ص 23.

وعرفه معجم تحليل الخطاب " لباتريك شارودر " و" دومينيك مانغونو" " إن السياق عنصر ما "س" هو مبدئيا كل ما يحيط هذا العنصر ، و عندما يكون "س" وحدة لغوية الصوت ، و الصرف و الكلمة و الجملة و غير لغوية السياق المقامي و الاجتماعي و الثقافي ويستعمل لفظ "سياق " بحسب المؤلفين لإحالة خاصة أما إلى المحيط اللغوي الوحدة ،و إنما نظام المتخاطب وللسياق مراتبه ومستوياته وهو يمثل فعالية في إنتاج النصوص وفهم الخطاب و قراءتها ،وطاقة مولدة للمعاني والدلالات الجديدة حسب أنواع السياقات المختلفة بدءا بالسياق المباشر والسياق الاجتماعي في الأوسع والحقل الثقافي والمؤسساتي أو الجهاز التلفظي الذي يأخذ بعين الاعتبار.[1]

كان " بانيني " يعتمد في تحليله النحوي على معطيات اللغة الحقيقية الحية، مما ينبغي توظيف " سياق الحال أو الموقف " في ضبط القواعد للحدث اللغوي.

---

(1) – آسيا صياد، إشكالات تدريس الروائي في المرحلة الجامعية، بعض أقسام اللغة العربية عتبة للدراسة، مذكرة ماجستير، جامعة باجي مختار، عنابة، 2007–2008، ص 135.

أما عند اليونانيين فقد جاءت بحوثهم حول " سياق الحال " أو ما يعرف "بسياق الموقف " بحوث هامة وقيمة، ارتبطت بالتكلم والسامع والزمان والمكان ومختلف الملابسات التي تحيط بالكلام.[1]

قسم " مالينوفسكي " مصطلح السياق إلى نوعين سياق الحال (contexte of situation) و السياق الثقافي(contexte of culture) فكل من السياقين ضروري في عملية فهم النص فهما كاملا وهذا ما يلعبه كل منهما دورا بارزا في تفسير النصوص، حيث يعتبر " مالينوفسكي " أول من استعمل مصطلح سياق الحال ويعني به " الموقف الذي حدث فيه الكلام ".[2]

ربط " بلومفيلد" دراسة المعنى بـ (موقف المتكلم) الذي ينطلق فيه (شكلا لغويا) والمقصود بـ (الشكل اللغوي) (الموقف الذي ينطقه المتكلم) و (رد الفعل) (الاستجابة) الذي يستدعي قوة السامع.

وحدد (الاستعمال اللغوي) من خلال (الموقف) ففسره تفسيرا سلوكيا محضا، بأنه تتابع من (المثير والاستجابة) بالصورة الآتية:

---

(1) – فطومة لحمادي، السياق والنص، ص 24.

(2) – فطومة لحمادي، السياق والنص، ص 27.

S ⟶ r S ⟶ R

ويمثل الحرف (S) بصيغته الصغيرة والكبيرة المثير ويمثل (R) بصيغته أيضا الاستجابة، لكن الحروف الكبيرة تعني الوقائع خارج اللغة، أما الحروف الصغيرة فتعني الوقائع اللغوية.

لقد كان محيط السلوك هو مدار البحث عن المعنى عند " بلوم فيلد " والمعنى عنده " الموقف الذي يتم فيه الحدث اللغوي المعين، والاستجابة به أو رد الفعل الذي يستدعي هذا الحدث في نفس السامع، فالمعنى عند " بلومفيلد " هو المقام الذي يتحدث فيه المتكلم ورد الفعل (الاستجابة) من السامع.

وبهذا لم تغب فكرة سياق الحال عن ذهن " بلوم فيلد " إلى انه مع ذلك رأى أن التحليل اللغوي يبدأ من الأشكال لا المعنى فدراسة المعنى تالية لدراسة الأشكال اللغوية.

استعمل علماء المدرسة السياقية الاجتماعية سياق الموقف أو ما يعرف بسياق الحال بوصفه وظيفة اجتماعية، وكان السبق إلى الاهتمام بالسياق عموما العالم الاجتماعي " ماليون فسكي " انطلاقا من محاولته ترجمة بعض النصوص لمجتمعات بدائية فلما عجز تفطن إلى الكلام الملفوظ لا يكون له معنى إلا إذا سيق.

يرى العالم إنجليزي " جون فيرث " أن سياق الحال يشبه سياق المقال في قابلية التجريد، غير أن أول ما يقوم به الباحث هو دراسة سياق الحال،ولابد في هذه الدراسة أن يبتكر الباحث نظاما يطبقه على الأحداث اللغوية، وهذا النظام يتكون من مجموعة من الاعتبارات التجريدية، غير التركيبة اللغوية ويتطلب تحليل أو دراسة سياق الحال دراسة نوعين من العلاقات:

1- عناصر داخلية بين عناصر الحديث اللغوي في ذاته وهي نوعان:

علاقات سياقية أفقية بين عناصر وحدات التركيب مدروسة على وقف مستويات تحليلية متعددة.

علاقات جدولية أو رأسية للمفردات أو الوحدات التي يجل كل عنصر منها محل الآخر في إطار نظام معين لتغطي قيما محددة لعناصر التركيب.

2-علاقات داخلية في إطار الموقف الذي يتم فيه الحدث وهو نوعان:

النص في اتصاله بالمكونات غير اللفظية مع تأثيره الكلي أو ثمرته المحددة. علاقات تحليلية بين أجزاء النص (الكلمات أو العبارات أو أجزاء الكلمات) ومكونات خاصة

في الموقف نفسه (أشياء أو أشخاص أو أحداث). والمكونات الأساسية للمعنى الكامل أو المركب هي وظيفة الأصوات والعناصر المعجمية والصرفية والنحوية والموقف بتمامه. [1]

3- سياق الموقف عند الرازي:

3-1: أسباب النزول:

أما سياق الموقف عند " الرازي " فقد أورد في تفسير السور بأسباب نزولها وكذلك الآيات بحوادثها من أجل فهم معناها ومقاصدها الشرعية فهما صحيحا ومقبولا وسنأخذ بعض الأمثلة من ذلك كشواهد:

أمثلة عن أسباب النزول:

المثال الأول:

قال تعالى:" ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ". [2]

---

(1) – حيدر غضبان محسن الحيوي، سياق الحال بين لسانيات الجملة والتراث النحوي، مجلة بابل، المجلة 23، العدد4 ،2015، ص 5.

(2) – سورة طه الآية .2.

يقول الرازي :" في نزول الآية وجوبا : احدهما قال مقاتل : ان أبا جهل و الوليد ابن المغيرة و مطعم بن عدي و النظرية الحارث قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم :" انك لتشقى حيث تركت دين أباك فقال عليه السلام :" بل بعثت رحمة للعالمين " قالوا : بل أنت تشقى فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم و تعريفا لمحمد صلى الله عليه و سلم بأن دين الإسلام هو السلام و هذا القرآن هو السلام الى نيل كل فوز و السبب في إدراك كل سعادة و ما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها ، و ثانيهما : انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام :" ابق على نفسك فإن لها عليك حقا " أي ما أنزلناه لتهلك نفسك بالعبادة و تذيقها المشقة العظيمة وما بعثت الا بالحنيفة السمحة و ثالثهما : إن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة و في ذلك الوقت كان عليه السلام مقصورا تحت ذل أعدائه فكأنه سبحانه قال له لا تظن انك تبقى على هذه الحالة ابدا بل يعلو أمرك و يظهر قدرك فإن ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقيا فيما بينهم بل تصير معظما مكرما .[1]

" وبهذا يتبين أن المكون السياقي لهذه الآية متعلقة بأسباب نزولها، هذه الأسباب متعلقة في الظروف والأحداث التي صاحبت تنزيلها.

---

(1) – الرازي، التفسير الكبير، ج 22، ص 4525.

المثال الثاني:

قوله تعالى: " ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعمنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وان يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ". (1)

يقول الرازي " نزلت هذه الآية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرضه وكان اليهودي يجره إلى رسول الله صلى عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف، ويقول إن محمدا يحيف علينا. و قد مضت قصتهما في سورة النسا ، و قال الضحاك: نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه و بين علي بن أبي طالب ارض فتقاسما فوقع إلى علي منها ما لا يصيبه الماء إلا بمشقة ، فقال المغيرة: بعني أرضك فباعها إياه و تقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فإنما اشتريتها إن رضيتها و لم أرضها فلا ينالها الماء فقال علي : بل اشتريتها و رضيتها و قبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة : أما محمد فليست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف

---

(1) – سورة النور الآية 5

أن يحيف علي فنزلت هذه الآية و قال الحسن : نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان و يسرون الكفر.[1]

" من خلال هذا يتبين أن سبب نزول هذه الآية يتمثل في وجود مكون خارجي أي انه يتعلق بشيء خارج السورة يتمثل في الظروف الأسباب التي صاحبت تنزيلها ".

المثال الثالث:

قوله تعالى: " ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم "[2]

يقول الرازي في تفسيره لسبب نزول هذه الآية وجوه، الأول: كان لعبد الله بن أبي المنافق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية. وثانيهما: أن عبد الله بن أبي اسر رجلا فراود الأسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت الجارية لإسلامها واكرهها ابن أبي على ذلك، رجاء أن تحمل من الأسير فبطلب

---

(1) – الرازي، التفسير الكبير، ج 24، ص 4995.

(2) – سورة النور الآية 33.

فداء ولده فنزلت وثالثهما: روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " جاء عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جارية من أجمل النساء تسمى معاذة، فقال رسول هذه لأيتام فلان تأمرها بالزنى فيصيبون من منافعها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " لا فأعاد الكلام " فنزلت الآية وقال جابر بن عبد الله " جاءت جارية لبعض الناس فقالت إن سيدي يكرهني على البغاء " فنزلت الآية. [1]

وبهذا يتبين أن سبب نزول هذه الآية مرتبط بالظروف والأحوال والأحداث التي واكبت نزولها، فقد ركز " الرازي " في هذه الآية على السياقات الموقفية التي تفسر سبب نزول هذه الآية.

المثال الرابع:

قوله تعالى: " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد "[2]

يقول الرازي: " في تفسيره في سبب نزول هذه الآية أن الآية الأولى نزلت في النضر بن الحارث وهذه الآية في أبي جهل، وان هذه الآية نزلت أيضا في النضر

---

(1) – الرازي،التفسير الكبير، ج23، ص4944

(2) – سورة الحج. الآية 3.

وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وفائدة التكرير المبالغة في الذم أيضا ذكر في الآية الأولى إتباعه للشيطان تقليدا بغير حجة وفي الثانية مجادلته في الدين وإضلاله غيره بغير حجة والوجه الأول أقرب لما تقدم. [1]

"وبهذا يتبين أن سبب نزول هذه الآية يتوقف على الأسباب والظروف والأحداث التي وقعت فيها والذي بالتالي أدى إلى نزول هذه الآية ".

المثال الخامس:

قوله تعالى: " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " [2]

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآيتين أنهما نزلتا بالليل والناس يسيرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع الناس حوله فقراهما عليهم، فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرح ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور والناس بين باك وجالسه

---

(1) - الرازي التفسير الكبير، ج، 23، ص 4755

(2) – سورة الحج الآية ،2.

حزين متفكر، فقال عليه السلام:" أتدرون أي ذلك اليوم هو؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله لآدم عليه السلام قم فابعث النار من ولدك فيقول آدم وما بعث النار؟ يعني من كم؟ فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى " فكبر ذلك على المؤمنين وبكوا وقالوا فمن ينجوا يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم " ابشروا و سددوا و قاربوا فإن معكم خليفتين ما كان في قوم إلا كثرناه يأجوج و مأجوج " ثم قال :" إني لا رجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لا لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا و حمدوا الله ثم قال إني لأرجوا أن تكونوا ثلثي أهل الجنة ،أن أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها أمتي وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " ثم قال : " و يدخل من أمتي سبعون ألف إلى الجنة بغير حساب " ، فقال عمر :" سبعون ألف ؟ قال : " نعم و مع كل واحد سبعون ألف " فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : " أنت منهم " فقال رجل من الأنصار فقال مثل قوله ، فقال " سبقك بها عكاشة " فخاض الناس في السبعين ألف فقال بعضهم الذين ولدوا على الإسلام، وقال بعضهم: هم الذين آمنوا وجاهدوا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالو فقال: " هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ". [1]

" من خلال هذا يتبين أن الرازي أبرز ملامح السياق الحالي سورة " الحج" والذي يتمثل في اجتماع الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا السياق يحدد السبب والحادثة التي تمت فيها نزول هذه السورة".

وخلاصة القول أن ارتباط سياق الموقف بخطاب سورة أو آية ارتباط قصدي، بمعنى أن معرفة أسباب النزول ضروري لمعرفة المقصود من الآية أو السورة، وأن الرازي أتى بسياق الموقف كإطار للتفسير ومعرفة المقاصد الشرعية من هذه السور والآيات وانه من الضروري على كل محلل للخطاب أن يعرف أسباب نزول القرآن إجمالا وتفصيلا وذلك للوصول إلى مقاصد كل آية أو سورة والمقاصد الكلية للقرآن، ويكون الفهم والإفهام ضمن هذه المقاصد الشرعية.

---

(1) – الرازي التفسير الكبير، ج، 23، ص 4748.

3-2: القرآن المكي والمدني:

والرازي في التفسير الكبير يؤكد في مطلع تفسير السور على سياق الوقف المتمثل في ما يمارس القرآن المكي و المدني حيث يهتم القرآن المكي بالعقيدة و التوحيد بالله سبحانه و تعالى و قصص الأنبياء و الأخلاق الفاضلة و القيم النبيلة لأن المرحلة المكية تتطلب هذه المعاني إذا كان القرآن المكي يدور حول هذه المحاور، في حين القرآن المدني فاهتمامه كان حول جوانب العبادة والإحكام الشرعية و القتال لان المجتمع الإسلامي في المدنية قد بدا قائما فكان لابد من أحكام تضبطه إذا كانت السور تتنزل حسب أحوال أهل المدينة ، و في هذا الشأن نأخذ بعض الأمثلة :

أمثلة عن القران المكي والمدني:

المثال الأول:

ففي مطلع تفسير سورة البقرة يذكر الرازي السياق العام للسورة فيقول: فهي كانت هذه السورة مدنية وقد شرف الله تعالى بقوله " **هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب** [1] فذكر بعد ذلك أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول – صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأمثاله: بقوله: " **بما أنزل إليك من قبلك** " لان في هذا التخصيص بالذكر من التشريف

---

(1) – سورة البقرة – 3–

لهم، كما في قوله تعالى: "**من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكائيل** " البقرة 98 ثم تخصيص عبد الله بن سلام وأمثاله بهذه التشريف وترغيب لأمثاله في الدين. [1]

يؤكد الطاهر بن عاشور السياق العام الذي نزلت فيه سورة البقرة ،فيقول : "نزلت هذه السورة بالمدنية بالآفاق ، وهي أول ما نزل بالمدنية و قيل نزلت سورة المطففين قبلها بناء على أن سورة المطففين مدنية و لاشك أن سورة البقرة فيها فرض الصيام ،و الصيام فرض في السنة الثانية ، لان النبي صلى الله عليه و سلم – صام سبعة رمضانات ، أولها رمضان من العام الثاني من الهجرة فتكون سورة البقرة نزلت في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية ، و هنا يتفق " الطاهر بن عاشور مع الرازي على أن إيراد عناصر السياق العام من ضرورات معرفة مقاصد الخطاب و انه بدون سياق يجعل الفهم والإفهام بعيدا عن المراد و عليه فإن كليهما لا يغيبا عنهما هذا الفهم باعتبارهما أصوليان بأن الأحكام التكليفية تراعي الأحوال و المقتضيات السياقية ، فمعرفة القصد يرتبط أساسا بسياق الموقف ، فسورة البقرة " عندما تكون موضوعاتها تتحدث عن أهل الكتاب بما في ذلك عبد الله بن سلام الذي يعد من الشخصيات اليهودية في المدنية فإنها تحدد السياق الذي أنزلت

(1) – الرازي ، التفسير الكبير ، ج2 ،ص 33

فيه و هو السياق المدني " فهذه السورة من الأوائل ما نزل من السور بعد الهجرة و هي أطول سور القرآن على الإطلاق [1].

المثال الثاني:

سورة آل عمران : " و هي سورة مدنية و سبب نزول أول هذه السورة قولان القول الأول : و هو قول مقاتل بن سليمان : " إن بعض أول هذه السورة في اليهود " و قد ذكرناه في تفسير (الم ذلك الكتاب) و القول الثاني : من ابتداء السورة إلى آية المباهلة في النصارى ،و هو قول محمد بن إسحاق قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من إشرافهم ، و ثلاثة منهم كانوا أكابر القوم ، احدهم أميرهم واسمه عبد المسيح ، و الثاني مشيرهم و ذو رأيهم ، و كان يقولون له السيد و اسمه الأيهم و الثالث حبرهم و أسقفهم و صاحب مدارسهم ، يقال له أبو حارثة بن علقمة احد بني بكرين وائل و ملوك الروم كانوا شرفوه ومولوه وأكرموه لما بلغهم عنه من علمه و اجتهاده في دينهم ، فلما قدموا من بحران ركب أبو حارثة بغلته، وكان إلى جنبه أخوه " كرز بن علقمة " فبينا بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت ، فقال كرز أخوه : تعس الأبعد يريد رسول

---

(1) – سوداني عبد الحق ، التداولية في التراث العربي القديم ، رسالة دكتوراه – جامعة عنابة،2015 – 2016 – ص 163.

الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبو حارثة : بل تعست أمك ، فقال : و لم يا أخي ؟ فقال : انه و الله النبي الذي كنا ننتظره ، فقال له أخوه كرز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال : لان هؤلاء الملوك أعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا ، فلو آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأخذوا من كل هذه الأشياء ، فوقع ذلك في قلب أخيه كرز ، و كان يضمره إلى أن اسلم فكان يحدث بذلك ، ثم تكلم أولئك الثلاثة: الأمير و السيد و الحبر ، مع رسول الله صلى الله عليه و سلم على اختلاف من أديناهم، فتارة يقولون عيسى هو الله و تارة يقولون هو ابن الله ، وتارة يقولون : ثالث ثلاثة ويحتجون لقولهم هو الله بأنه كان يحيى الموتى و يبرئ الأكمه والأبرص ، و يبرئ الأسقام و يخبر بالغيوب، و يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير و يحتجون في قولهم : انه ولدا لله بأنه لم يكن له أب يعلم ويحتجون على ثالث ثلاثة بقوله تعالى : "فعلنا وجعلنا" و لو كان واحد لقال فعلت فقال لهم رسول الله " اسلموا " فقالوا : قد " أسلمنا " فقال صلى الله عليه وسلم " كذبتهم كيف يصبح إسلامكم وأنتم تثبتون لله ولدا و تعبدوا الصليب و تأكلوا الخنزير " فقالوا فمن أبوه ؟ فسكت رسول الله صلى الله وسلم، فأنزل الله تعلى في ذلك سورة أل عمران.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظر معهم فقال: " ألستم تعلمون أن الله حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى قال: " ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا بلى، قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه،

فهل يملك عيسى شيئا من ذلك إلا ما علم؟ " فقالوا لا: قال: " فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، فهل تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون إن عيسى حملته امرأة كحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ولا يحدث الحدث " قالوا بلى: فقال صلى الله عليه وسلم: " فكيف يكون كما زعمتم؟ فعرفوا ثم أبوا إلا جحودا ثم قالوا: يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه؟ قال " بلى " قالوا فحسبنا فأنزل الله تعالى: " فأما الذين في قلوبهم زيغ فيبتغون ما تشابه " آل عمران 7 [1]

فالسياقات المدنية تختلف عن السياقات المكية بكل سماتها، لكنها تتكامل معها على مستوى بناء الخطاب ومقاصده الكلية فالفقرة المكية من الخطاب القرآني قد تناولت قضايا العقيدة والشرك وغيرها وكل ما يتعلق بالإنسان " [2]

المثال الثالث:

سورة الأنعام : حيث قال ابن عباس رضي الله عنه : إنها مكية نزلت جملة واحدة فامتلأت منها الوادي وشيعها ألف ملك و نزلت الملائكة فملئوها ما بين الأخشين فدعا

---

[1] -الرازي ، التفسير الكبير ، ج 3 ، ص 145.

(2) – سوداني عبد الحق ، التداولية في التراث العربي القديم ، ص 146.

الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب و كتبوها من ليلتهم ، وقال أصوليون أن هذه السورة احتضت بنوعين من الفضيلة احدهما ، أنها نزلت دفعة واحدة و الثاني أنها شيعها سبعون ألف من الملائكة والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المطلبين والملحدين ، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة وأيضا فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله تعالى قدر حاجاتهم و بحسب الحوادث و النوازل و أما ما يدل على علم الأصول فقد انزله الله

تعالى جملة واحدة وذلك على أن تعلم علم الأصول واجب على الفوز لا على التراخي. [1]

" فسورة الأنعام تناولت موضوع العقيدة والتوحيد لأن المرحلة المكية تناولت محاربة الشرك والأوثان وبناء الإنسان الملم الموحد لله الخالي من الاعتقادات الوثنية الجاهلية لذا فموضوعها يجعلها مكية أساسا".

(1) – الرازي، التفسير الكبير ، ج 7 ،ص 145.

المثال الرابع:

سورة " **يوسف** " وهي مكية نزلت بعد سورة هود والسبب نزولها انه قد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين " سلوا محمد لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن كيفية قصة يوسف، فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير: "إنا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآن عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض. [1]

" أبرز الرازي أسباب نزول سورة " يوسف " المكية وذلك من خلال إظهار ملامح السياق الحالي للسورة والذي يتمثل في الحديث القائم بين اليهود والمشركين بالإضافة إلى المكان الذي تواجد فيه هذا الحديث وهو مكة ".

وخلاصة القول تتمثل في أن القرآن المكي هو القرآن الذي نزل بمكة أما المدني فهو الذي نزل بالمدينة وكلاهما يدلان على الزمان والمكان الذي نزل فيهما القرآن الكريم ومن خلالهما نستطيع أن نعرف المقصود من النص الخطابي

---

(1) –الرازي ، التفسير الكبير ،ج12 ، ص 123.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال هذا البحث استطعنا أن نصل إلى النتائج التالية:

1-مفهوم السياق وهو مفهوم لساني معاصر أنتجه الفكر اللغوي بسبب قصور الدراسات البنيوية.

2-أن مفهوم السياق مفهوم قائم في المدونة العربية أي أنه مفهوم متناثر في كتب المفسرين والبلاغيين واللغويين.

3-فرق علماء اللغة العرب بين مفهوم السياق: المفهوم اللغوي والمفهوم الموقفي أو المقامي.

4-أورد الرازي مفهوم السياق اللغوي بعدة ألفاظ ومفاهيم كمفهوم النظم، التعالق.

5-أورد الرازي مفهوم الموقف في التفسير الكبير من خلال مجموعة من الألفاظ والكلمات كأسباب النزول المكي والمدني بنماذج تطبيقية لأن سياق الموقف هو الذي يتحكم في تأويل النص.

6-أن تأويل النص لا يمكن أن يكون تأويلا مقبولا إلا إذا كان في إطار سياق الموقف ولا يمكن الوصول إلى المقصود من الخطاب إلا في إطار المقام.

ويبقى الباب مفتوحا أمام البحث في السياق عند علمائنا لما له من أهمية في عملية التأويل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القران الكريم، رواية ورش عن نافع، مراجعة أحمد عيسى المعصراوي، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، مصر، د، ط، د، ت.

أ-المصادر:

1- الرازي (محمد فخر الدين)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 2005، بيروت.

ب-المراجع بالغة العربية:

2- أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

3- خديجة الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام، مصر، ط1، 2009.

4- الشهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط1، طرابلس، 2004.

5- محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة علم الكتب، القاهرة، ط1، 1991.

ج-المراجع المترجمة:

6- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1، 1970.

7- ابن جني، الخصائص، تج: محمد علي النجار، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2006.

8- الرازي، تسهيل نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، تج: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، ط1، 1989، لبنان.

9- الزمخشري، أساس البلاغة ، تج: محمد باسل عيون السود، بيروت، لبنان، 1998.

10- سيبويه، الكتاب، تر: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، ج1، 1979.

11- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

12- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999، ص 54.

د- المجلات:

14- حيدر غضبان محسن الجبوري، السياق الحال بين لسانيات الجملة والتراث النحوي، مجلة جامعة نابل، المجلد 23، العدد4، 2015.

15- غنية التومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، العدد السادس، بسكرة، 2010.

16- فطومة لحمادي، السياق والنص، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان 2 و3، بسكرة، جوان 2008.

ر-الرسائل الجامعية:

17- آسيا صياد، إشكالات تدريس الروائي في المرحلة الجامعية، بعض أقسام اللغة العربية عتبة للدراسة، مذكرة ماجستير، جامعة باجي مختار، عنابة، 2007-2008.

18- ردة الله طلحي (بن ضيف الله طلحي)، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، أم القرى، مكة المكرمة، 1424 هـ.

19- سوداني عبد الحق، التداولية في التراث اللغوي العربي القديم، رسالة دكتوراه، جامعة عنابة، 2015-2016.

20- محمد حاج أحمد، السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية التراثية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012.

فهرس

مقدمـــة:.....أ، ب،ج،د

الفصل الأول: السياق اللغوي عند الرازي

1-السياق لغة:.....3

2- السياق اللغوي عند علماء العرب:.....5

3-السياق اللغوي عند علماء اللسان:.....10

4-السياق اللغوي عند الرازي:.....15

4-1: النظم:.....15

4-2: التعلق:.....23

الفصل الثاني: سياق الموقف عند الرازي

1- سياق الموفق عند علماء العرب:.....32

2- سياق الموقف عند علماء اللسان:.....39

3- سياق الموقف عند الرازي:.....46

3-1: أسباب النزول:.....46

3-2: القرآن المكي والمدني:.....54

الخاتمة:.....62

قائمة المصادر والمراجع:.....64

فهرس الموضوعات:.....68